

تفسير البحر المحيط

@ 481 @ ءَامَـذُـوْا ۚ هُدًى وَشَفَاءَ { ، هدى : أي إرشاد إلى الحق ، وشفاء : أي لما في الصدور من الظن والشك . والظاهر أن { وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ } مبتدأ ، و { وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا } هو موضع الخبر . وقال الزمخشري : هو في آذانهم وقر على حذف المبتدأ لما أخبر أنه هدى وشفاء للمؤمنين ، أخبر أنه وقر وصمم في آذانهم ، أي الكافرين ، ولا يضطر إلى إضمار هو ، فالكلام تام دونه أخبر أن في آذانهم صمماً عن سماعهم . ثم أخبر أنه عليهم عمى ، يمنعهم من إبطار حكمته والنظر في معانيه والتقرير لآياته ، وجاء بلفظ عليهم الدالة على استيلاء العمى عليهم ، وجاء في حق المؤمنين باللام الدالة على الاختصاص ، وكون والذين في موضع جر عطفاً على قوله : { لِلَّذِينَ ءَامَـذُـوْا } ، والتقدير : وللذين لا يؤمنون وقر في آذانهم إغراب متكلف ، وهو من العطف على عاملين ، وفيه مذاهب كثيرة في النحو ، والمشهور منع ذلك . وقرأ الجمهور : عمى بفتح الميم منوناً : مصدر عمى . وقرأ ابن عمرو ، وابن عباس ، وابن الزبير ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، وابن هرمز : بكسر الميم وتنوينه . وقال يعقوب القاري ، وأبو حاتم : لا ندري نونوا أم فتحوا الياء ، على أنه فعل ماض وبغير تنوين ، رواها عمرو بن دينار وسليمان بن قتيبة عن ابن عباس . والظاهر أن الضمير في { وَهُوَ عَـلَـيْهِمْ } عائد على القرآن ، وقيل : يعود على الوقر . { أُوْٓلَـٰٓئِكَ } إشارة إلى الذين لا يؤمنون ، ومن جعله خبراً ، لأن الذين كفروا كانت الإشارة إليهم . { يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ } ، قيل : هو حقيقة . قال الضحاك : ينادون بكفرهم وقبح أعمالهم بأقبح أسمائهم من بعد حتى يسمع ذلك أهل الموقف فتعظم السمعة عليهم ويحل المصاب . وقال علي ومجاهد : استعارة لقلة فهمهم ، شبههم بالرجل ينادي من بعد ، فيسمع الصوت ولا يفهم تفاصيله ولا معانيه . وحكى أهل اللغة أنه يقال للذي لا يفهم : أنت تنادي من بعيد ، أي كأنه ينادي من موضع بعيد ، فهو لا يسمع النداء ولا يفهمه . وحكى النقاش : كأنما ينادون من السماء . . . { وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ } تسليية للرسول في كون قومه اضطربوا فيما جاء به من الذكر ، فذكر أن موسى عليه السلام أوتي الكتاب ، وهو التوراة ؛ فاختلف فيه . وتقدم شرح هذه الآية في أواخر سورة هود عليه السلام ، والكلام على نظير { وَمَا رَبُّكَ بِظَـٰلِمٍ لِّلْعَبِيدِ } في قوله في سورة الحج : { وَأَنَّ اللَّهَ لَـَّيْسَ بِظَـٰلِمٍ لِّلْعَبِيدِ } . . . { وَإِلَيْهِ * يُرْجَعُ الْعِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ } .

أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ { . .

لما ذكر تعالى { مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا } الآية ، كان في ذلك دلالة على الجزاء يوم القيامة ، وكأن سائلاً قال : ومتى ذلك ؟ ف قيل : لا يعلمها إلا الله ، ومن سئل عنها فليس عنده علم بتعين وقتها ، وإنما يرد ذلك إلى الله . ثم ذكر سعة علمه وتعلقه بما لا يعلمه إلا هو تعالى . وقرأ أبو جعفر ، والأعرج ، وشيبة ، وقتادة ، والحسن بخلاف عنه ؛ ونافع ، وابن عامر ، في غير رواية : أي جليلة ؛ والمفضل ، وحفص ، وابن مقسم : { مِنْ ثَمَرَاتِ } على الجمع . وقرأ باقي السبعة ، والحسن في رواية طلحة والأعمش : بالإفراد . ولما كان ما يخرج من أكمام الشجرة وما تحمل الإنات وتضعه هو إيجاد أشياء بعد العدم ، ناسب أن يذكر مع علم الساعة ، إذ في ذلك دليل على البعث ، إذ هو إعادة بعد إعدام ،